

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[242] الجملة هو: إنَّ اُولئِكَ قد إستسلموا أمام عوامل التفرقة والنفاق، ورضوا بأن يبتعد أحدهم عن الآخر، وأنهموا إتّحادهم الفطري والتوحيدي، فمَنذُوا - نتيجة ذلك - بكلِّ تلك الهزائم والشقاوة! وتضيف في النهاية: (كلِّ إلينا راجعون) فإنَّ هذا الإختلاف عرضي يمكن إفتلاعه، وسيسيرون في طريق الوحدة جميعاً في يوم القيامة، وقد أكَّـد على هذه المسألة في كثير من الآيات القرآنية، وهي أنَّ واحدة من خصائص يوم القيامة زوال الإختلافات وذوبانها والرجوع إلى الوحدة، فنقرأ في الآية 48/سورة المائدة: (إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون). ويلاحظ هذا المضمون في آيات متعدّدة من القرآن الكريم(1)، وعلى هذا فإنَّ خلق البشر بدأ من الوحدة، ويرجع إلى الوحدة. وتبيِّن الآية الأخيرة نتيجة الإنسجام مع الأمّة الواحدة في طريق عبادة الله، أو الإنحراف عنها وإتّخاذ طريق التفرقة، فتقول: (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) ومن أجل زيادة التأكيد قالت: (وإنَّ له لكتابون). وممّا يستحقّ الإنتباه، أنَّ الإيمان والعمل الصالح قد ذكرا في هذه الآية - ككثير من آيات القرآن الأخرى - كركنين أساسيين لنجاة البشر، غير أنَّ كلمة (من) التبعيضيّة تضيف إلى ذلك أنَّ القيام بكلِّ الأعمال الصالحة ليس شرطاً، فإنَّ المؤمنين إذا قاموا ببعض الأعمال الصالحة فإنَّهم من أهل النجاة والسعادة. وعلى كلِّ حال، فإنَّ هذه الآية ككثير من آيات القرآن الأخرى قد عدّت الإيمان شرطاً لقبول الأعمال الصالحة. ذكر جملة (فلا كفران لسعيه) في مقام بيان ثواب مثل هؤلاء الأفراد، هو

1 - آل عمران - 55، والأنعام - 164، والنحل - 92، والحجّ